يلاحظ من التعريفات السابقة التي تسعى إلى التفريق بين الممارسات المختلفة المنسوبة للساحر أو النبي أو الولي أنها لا تركز على طبيعة الفعل بقدر اهتمامها بالمصدر الذي تنسب إليه تلك الممارسة. وبناء على ما يتسم به المصدر من سمات يغلب عليها أنها سمات غيبية تتعلق بالإيمان والصلاح أو بالفساد والشر تكتسب تلك الممارسات صفاتها التي تفترق به عن غيرها. ومن هنا فليس مستغربا أن يصنّف عمل معين على أنه سحر عند فئة معينة وفي الوقت نفسه يصنّف على أنه نبوّة أو كرامة عند فئة أخرى لأن الفرق في التصنيف قائم على النظر إلى مصدر العمل لا إلى العمل نفسه.

2. الاعتقاد في الجن و الشياطين:

أ- الجن: الاسم والمعنى:

الجِنّ (اسم جمع لكلمة "الجَانّ"، ومفردها "جِنّيّ"، أو "جِنِّيَّة")، وفي القاموس: المفرد يسمى جني والأنثى تسمى جنية، وهو من الفعل جَن (بفتح الجيم وتشديد النون وفتحها) وهو بمعنى أستتر وغطى ومنها قولهُ في القرآن: ((فلما جن عليه الليل))، أي سترهُ ظلام الليل وغطاه، وهم وبحسب الأديان والأساطير العربية القديمة الجن مخلوقات تعيش في ذات العالم ولكن لا يمكن رؤيتها عادة، وهي خارقة للطبيعة، لها عقول وفهم، ويقال إنما سميت بذلك لأنها تستتر ولا تُرى.[135] فلم ينكر المعتقد الإسلامي على العرب وجودها، بل أَفرد جزءاً ليس بيسير ليتحدث عنها في النصوص الدينية الإسلامية مزاوجا في كثير من الأحيان بين "الإنس" (أي الناس أو البشر) و"الجن."[136]

يعتقد الكثير من الناس بوجودها وبأنها هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، ولها قدرة على عمل الأعمال الشاقة، كما أجمع المسلمون قاطبة على أن النبي مُحَمَّد مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس ولقد ورد ذكر ذلك في القرآن: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.[137] وهناك سورة كاملة في القرآن اسمها سورة الجن.

134الحفني، المعجم الصوفي. كما يوضح النبهاني الفرق بينالكرامة والاستدراج بأن«معنى الاستدراج أنيعطيه الله كل ما يريده في الدنيا ليزداد في غيه وضلاله فيزداد عن اللهبعدا [...] والاستدراجاتأنواع عدة هي : الاستدراج و المكر والكيد الاملاءوالاهلاك [...] وأن صاحب الكرامة لايستانس بتلك الكرامة عند ظهورها عليه خوفا من أنتكون استدراجا من الله وامتحانا له.وإذا أدت الكرامةأو الفعل الخارق إلى غروروفساد كان ذلك استدراجا لا كرامة».

135 عمر سليمان الأشقر: عالم الجن والشياطين، مكتبة الفلاح، الطبعة الرابعة، الكويت، سنة 1974، ص 11.

136 موسوعة ويكيبيديا على الرابط: HTTPS://AR.WIKIPEDIA.ORG/WIKI/%D8%AC%D9%86

137 سورة الأنعام، الآية 19.

ب- الشيطان: الإسم والمعنى:

الشيطان كائن خارق للعادة يعتبر تجسيدا للشر في كثير من الثقافات والأديان باختلاف المسميات وفي أحيان كثيرة عدوا ونقيضا للإله.[138] فهو ممثل الشر وكل ماينطوي تحته من أفعال وأفكار في حرب مقدسة أو كونية مع قوى الخير وأدق المصطلحات الفلسفية لوصف علاقة الشيطان بالإله هي الثنوية. فالإله يمثل قوى الخير والنور التي تقاتل لأجل نجاة الأرواح البشرية من شر الشيطان وأعوانه.

تختلف التسميات من ثقافة لأخرى فهو إبليس في الإسلام ولوسيفر في المسيحية أما اليهودية فهو أحد أعضاء المحكمة الإلهية ليهوه؛ ويعتبر ملاكا ساقطا في المسيحية ويسمى أيضا عزازيل و طاووس ملك في الديانة الأيزيدية، وفي الإسلام هو من الجن يغوي البشر لإرتكاب الذنوب والمعاصي بحق الإله. يلعب الشيطان دورا محوريا في هذه الأديان الثلاث تحديدا فقد أرتبط اسمه بالكفر والهرطقة وكل ما يمكن اعتباره كذلك حسب المعتقد والدين.

إبليس139 اسم لشيطان واحد وكان اسمه عزازيل حتى معصيته لله. وقيل أن الشيطان إما من شطَن (ابتعد عن الحق) وإما من شيَط (احترق غضبا). وقال أبو عبيدة أن الشيطان كل عات متمرد من إنس أو جن ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُون﴾.[140] وقال الراغب[141] أن الشيطان هو كل ذي صفة ذميمة من إنسان أو جني، أو حيوان، كل ذميم ذما مطلقا.

غير أن مؤلفي معاجم اللغة العربية وعدداً من المفسرين يرجعون اعجمية كلمة ابليس، أو انها من الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية، ومعنى كلمة إبليس في اللغة العربية هو من الفعل بَلَسَ (بمعنى طُرِدَ)، عندها يكون معنى إبليس هو "المطرود من رحمة الله، ولفظة ابليس كذلك تأتي في معنى الضلال، الدهشة،

138 الشيطان ـ الموسوعة البريطانية نسخة محفوظة 29 أبريل 2015 على موقع واي باك مشين.

139 نسبت إلى إبليس صفات الخيلاء والكبر والعصيان والتمرد والكراهية والحسد والباطل والغواية والخبث والخداع وغيرها. وكانت معرفته فاتحة التمييز بين الخير والشر بوصفها مفهومين أخلاقيين أقامها الفكر النظري مستنداً إلى الدين التوحيدي أو دين الإله الواحد. وأصبح الواجب والجائز والمحظور من أهم دعامات الحياة الاجتماعية. فقبل ظهور الديانات التوحيدية وتحول إبليس إلى رمز للشر في العالم، لم تكن أعمال البشر تقاس سوى بميزان النفع والضرر والأمن والخوف واللذة والألم، ولم يكن للأحكام الأخلاقية من مدلول في الكلام، ومن البديهي أنه لم يكن لها مدلول في الذهن والوجدان. فقد كان مفهوم إبليس ضرورياً لمعرفة الخير والشر والحق والباطل والحسن والقبيح. وهو في الديانات الإبراهيمية مصطلح يشير إلى أحد أعيان الجن المقربين من الله إلى أن داخله الغرور فلُعن وطرد من السماء. فطرده الله من رحمته ولعنه إلى يوم القيامة وبعدها مصيره النار وبئس المصير.

140 سورة الأنعام، الآية 113.

141 الرَّاغِب الأَصْفَهَانِي (توفي 502 هـ / 1108 م) هو أديب وعالم، أصله من أصفهان، وعاش ببغداد. ألف عدة كتب في التفسير والأدب والبلاغة.

السكوت، وكثيرة هي الأحاديث التي تدل على ان اسم ابليس مشتق من الإبلاس، كما ان كتاب اللغة يرجعون اشتقاقها من اللغة العربية.[142]

ج- الجن في الميثولوجيا:

قيل أن الإنسان عرف الروح بعد ما فكر في بعض التجارب مثل النوم والحلم والظل والسراب والنفس والموت، واتسعت هذه الفكرة عنده فهدته إلى معرفة الجن والروح، وما زالت تتسع شيئا فشيئا حتى غشي الطبيعة بالأرواح. فمظاهر الحياة مثل النوم ومشاهدة كل ما يجري من الحوادث في الحلم حملت الإنسان على الاعتقاد أنه ذو شخصيتين: الشخصية الأولى هي القالب المادي، والشخصية الثانية أخذ يطبقها على الأشياء جميعها، فحسب في الحجر الصامت والشجر النامي شخصية مستورة مثل شخصيته في جسده، وأصبحت الموجودات التي كانت كلها في نظره عالم الجمادات والسكوت الخاضع لنواميس الطبيعة ذات عالم حيوي كعالم الحلم في ذات نفسه.

هكذا بدأ الإنسان الأول يرى في كل مظهر من مظاهر الطبيعة حياة كما كان يشعر في نفسه، وقف حائرا أمام الغرائب كلها، فاكتفت عقليته المتحيرة بأن تحسبها أشخاصا مثل شخصيته، وأن لها حياة مثل حياته. بدأت هذه الفكرة عند الإنسان منذ القدم ولا يزال يقدس الأشياء حيث لا يجوز تقديسها. هذا النظر يشبه عقيدة أصحاب وحدة الوجود إلى يومنا هذا؛ وقد إمتد به فكره إلى أفق أبعد، فجعل صلة بينه وبين الموجودات كصلة الأبوة والأمومة والأخوة، ثم جاوز ذلك فقدس الموجودات إجلالا وحفظا لكرامة الأسلاف. وفي فهرس الأصنام نجد أسماء الأشياء الطبيعية مثل الشمس والقمر والأرض والسماء والشجر والحجر، وقد جعل الإنسان علاقته بها كعلاقة العبد بالمعبود، فخاطبها كما كان يخاطب الإله.[143]

إن الروح عبارة عن الحياة الطبيعية أو الحركة عن الإنسان قديما، كان يعتقد في الجن والهواتف والغول والسعلاة...، والجن والغول وأشباه ذلك ماهي إلا صنف من الحيوان في تصورات القدماء. وقد تطورت حيوية الشجر والحجر إلى صورة الجن والأرواح التي تسكنه، فأصبحت الأشجار والأحجار من بقايا تبركات تلك الأرواح، وهذه الفكرة المعكوسة إنما هي رد فعل لتطور الحيوية وهو ما يسمى بالمذهب الفيتيشي Fétichisme. وإذا التفتنا إلى تصور الجن عند العرب، تظهر الفكرة الطوطمية بأجلى معانيها ومظاهرها؛ فالجن في العقيدة الجاهلية خلق من بيضة كما قال المسعودي: «وما ذكره اهل التاريخ والمصنفون لكتب البدء حوهب بن منبه وابن إسحاق وغيرهما أن الله عز وجل خلق الجان من نار السموم، وخلق منه زوجته، كما خلق حواء من آدم، وأن

142 فراس السواح: الرحمان والشيطان (الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية)، منشورات دار علاء الدين، ب ط، ب ت ن، ص 57.
143 أنظر: محمد عبد المعيد خان: الأساطير العربية قبل الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة-مصر، سنة 1932، ص 61.

الجان غشيها فحملت منه، وأنها باضت إحدى وثلاثين بيضة، وأن بيضة تفلقت من تلك البيضة قطربة وهي أم القطارب وان القطربة على صورة الهرة وأن الأبالس من بيضة أخرى منهم الحارث أبو مرة، وأن مسكنهم الجزائر، وأن الغيلان من بيضة أخرى مسكنهم الخربات والفلوات، وأن السعالي من بيضة أخرى وسكنوا الحمامات والمزابل، وأن الهوام من بيضة أخرى وسكنوا الهواء في صورة الحيات ذوات أجنحة يطيرون هنالك، وأن الحماميص من بيضة أخرى...».[144]

فهذه الرواية تدل صراحة على كون الجن من نسل الحيوان، فما الذي يخلق من البيضة ولا يكون من الحيوان يا ترى؟ زد على ذلك قول الألوسي: «إنهم يعتقدون في الديك والغراب والحمامة والورل وساق حر والقنفد والأرنب والظبي واليربوع والنعام والحية اعتقادات عجيبة، فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلقا، ومنهم من يزعم أنها نوع من الجن».[145] ومن تصفح كل الروايات نستطيع القول بأنها تدل صراحة على كون الجن من الدواب والسباع والهوام. نعم أحيانا نجد الجن على صورة الإنسان، وتارة على شكل غريب الخلق، لكن التصورات من هذا السبيل لم تكن تصورات عربية خالصة، وذلك لأن العقلية العربية كما بينا لم تجرد المادة في بداوتها، لذلك كان تصور الجن كراكب النعامة من أحدث التصورات.

إن الجن والغول والسعلاة كانت من الحيوان في صميم الفكرة العربية؛ لذلك نرى الباحثين عن معنى الجن عند العرب أدخلوه في نوع الحيوان متأثرين بفكرة البادية وقالوا: «إن الغول حيوان شاذ». 146وإذا نظرنا إلى أصل نشوء الجن عند العرب نشعر أن مساكن الجن تشبه مساكن السباع التي كانت العرب تخاف منها، فكل شيء مخيف أو صوت غريب كان متعلقا بالجن في بادية العرب. فهذه الفكرة إما أن تكون قد بدأت في بادية العرب نفسها، وإما أن تكون قد جلبت من الخارج، وأغلب الظن أن تكون بذور تلك الفكرة هي أن العربي كان يخاف بعض الخرافات والفلوات، ويستوحش من سماع الصدى فيما بين الجبال. ويقال إذا نزل العربي في واد مخيف كان يعوذ بعظيم هذا الوادي. قال شاعر استعاذ ومعه ولده فأكله الأسد:

قد استعذنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الأعادي فلم يجرنا من هزبر عادي[147]

تطورت الفكرة إلى أن النفس التي كانت طيرا في تصور الإنسان القديم أصبحت جنا من الجن الخيالية وصارت من الشياطين، ومع ان فكرة الجن تطورت عند الإنسان إلى حد بعيد، فقد بقي في تصور الجن جزء من الحيوانية، فإذا تحولت العلاة غي صورة المرأة مثلا فقد تكون رجلاها رجلي حمار أو عنز... والإنسان في

144 محمد عبد المعيد خان: الأساطير العربية قبل الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة-مصر، سنة 1932، ص 71.

145 نفس المرجع، ص 72.

146 قزويني زكرياء بن محمد، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق قاضي محمد بن يوسف، مكتبة الثقافة الدينية، القاعرة – مصر، سنة 2004، ص 202.

147 محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، المجلد الثاني، دار الكتاب المصري، القاهرة – مصر، ص 326.

العصور المتأخرة يرى في الجن أو في هذا الحيوان كل ما يراه المتوحش في طوطمه؛ ولا زال ينسب الأفراد والقبائل إلى نسل الجن. ومع كل هذه المماثلة بين الجن والحيوان وطوطم البدائي، فإنا نرى صفات الجن تختلف عن صفات الحيوان في بعض الأساطير القديمة. ففي كثير من التصورات حول الجن، مع كونها إنسانا ذا لحم وعظم ضخم يطير في الهواء ويسكن في ناحية يلوح فيها البرق مثلا...

إن تصور الجن لم يبق على حيوانيته القديمة في جميع تطوراته من عصر البداوة إلى عصر الأديان التوحيدية، خاصة الإسلام. ولكن هذا لا يمنع من كون الجن حيوانا في تصور الإنسان القديم كما أسلفنا، لكنا لا نوافق على كون الجن طوطما عند المسلمين والعرب على وجه الخصوص، ذلك لأن للطوطم أتباع يحمونه ويحمونهم، أما الجن منذ نشأتها فهو شيء مخيف ومنفر للناس، وقد استعاذت العرب من الجن، ولم يرجوا الخير منه، لا كما يفعل أهل الطوطم الذين كانوا يلجأون إليه في الساعة الحرجة. فكان الجن يمثل قوة الشر...ومن هذا نقول إن الجن كان من أعداء القبيلة لا من آبائها. وفضلا عن ذلك فإن الجن كانت تمثل الحيوان في مخيلة الإنسان، لكن يفرق بين الجن والحيوان في عالم المشاهدة، إذ لم يكن كل صنف من الحيوان جنا في تصور الإنسان العربي أو المسلم مثلا، وزد على ذلك أن السباع لم تكن وحدها الجن، بل كانت الإبل أيضا من الجن، ولو أنها ليست من الحيوانات المخيفة، وكذلك نوعية الجن لم تكن محصورة في الحيوانية، بل كل شيء مخيف أو صوت غريب أو بناء عظيم يستلفت الأنظار كان متعلقا بالجن.[148]

ثم إن صاحب الطوطم لا يؤذي طوطمه ولا يأكله إلا إذا عضه الجوع؛ والعربي أو المسلم كان يجتنب قتل الحيوان خوفا من الجن، وإذا طالت علة الواحد منهم ظنوا به مسا من الجن. كما يحرم اللمس والنظر إلى الطوطم، ويحرم التلفظ باسمه، وإننا نجد شيء من هذا عند العرب والمسلمين فيسمون النعامة بالطلع والمجلم، ويلقبون الأسد بأبي الحارث، والثعلب بابن آوى، والضبع بأم عامر، وسموا الغراب بحاتم.

3. الجن في النصوص القرآنية والحديثية:

ورد في القرآن: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[149] ويعتقد المسلمون بأن للجن قوى مادية غير عادية، وأن الجن باستطاعتها رؤية الناس، والبعض يعتقد إن أجسام الجن غير مرئية وقادرة على التشكل بالشكل الذي تريده، ولكن الجن[150] له وجود مادي لحياة عاقلة ورد ذكرهم في الكتب السماوية. ويقوم بعض

148 محمد عبد المعيد خان: الأساطير العربية قبل الإسلام، مرجع سابق، ص ص 75-80.

149 سورة الحجر، الآية 27.

150 أسماء الجن في لغة العرب وأصنافهم: قال ابن عبدالبر رحمه الله: بأن الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب وهي:

1- يسمونهم جناً.
2- إذا سكنوا الدَّار يسمون عمّار جمع عامر.
3- إذا تعرض للصبيان يسمون أرواح.

المتخصصين بالقراءة من القرآن على أشخاص مسهم أو تلبَّسهم الجن لإخراجهم ويحدث في ذلك مخاطبة الجني ومجادلته حسب إعتقاد بعضهم.

ولقد سموا جنا في لغة العرب لاستتارهم عن العيون، فهم يرون الناس ولا يستطيع الإنسان رؤيتهم، وهذه الحقيقة ذكرت في القرآن: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾،[151] والمقصود إن الإنسان لا يرى الجن على صورتهم الحقيقية التي خلقوا عليها ولكن قد نراهم بصور أخرى متجسدين لها أو وهما للعقل كشبح وغيره كما يحصل لبعض الأشخاص.[152]

ويقرر القرآن إن حقيقة الجن خلق آخر غير الإنس وغير عالم الملائكة والأرواح، وبين الجن والإنسان قدر مشترك من حيث الإتصاف بصفة العقل والإرادة ومن حيث القدرة على اختيار طريق الشر والخير، ومن حيث التكليف بالعبادة وحسب ما ذكر في القرآن في قولهِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[153].

الجن في القرآن والحديث لهم حقيقة موجودة وهم كما يصفون أنفسهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾.[154] منهم الضالون المضلون ومنهم السذج الأبرياء الذين ينخدعون: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾.[155] هم قابلون للهداية من الضلال مستعدون لإدراك القرآن سماعاً وفهماً وتأثرا: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.[156] أنهم قابلون بخلقتهم لتوقيع الجزاء عليهم وتحقيق نتائج الإيمان والكفر فيهم: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا، وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾.[157] أنهم لا ينفعون الإنس حين يلوذون بهم بل يرهقونهم: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ

4- إذا خبُثت يسمى شيطان.
5- فإذا زاد في الخبث يسمى مارد.
6- فإذا زاد في الخبث يسمى عفريت.

151 سورة الأعراف، الآية 27.
152 أنظر: عمر سليمان الأشقر: عالم الجن والشياطين، مكتبة الفلاح، الطبعة الرابعة، الكويت، سنة 1974، ص 53.
153 سورة الذاريات، الآية 56.
154 سورة الجن، الآية 11.
155 سورة الجن، الآيتان 4-5.
156 سورة الجن، الآية 1-2.
157 سورة الجن، الآية 13-14.

رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.[158] أن الجن لا قوة لهم مع قوة الله ولا حيلة: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾[159].

ولقد صححت هذه السور القرآنية ما كان يعتقده المشركون من العرب وغيرهم يظنونه عن قدرة الجن ودورهم في هذا الكون، حيث وردت في الجن آيات كثيرة توضح حقيقتهم في هذا العالم ومنها: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾.[160]

كما ورد في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: أستطير أو اغتيل، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا به جاء من قبل حراء فقلنا: "يا رسول الله فقدناك وطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم"، فقال صلى الله عليه وسلم: "أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن"، قال ابن مسعود: فانطلق بنا، صلى الله عليه وسلم، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم...).[161] وروي أيضا عن صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد عن النبي مُحَمَّد، قال: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم كما وصف لكم".[162] أما عن أصناف الجن في السنة النبوية، فجاء عن جبير بن نفير عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الجن ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون".[163]

4. الاعتقاد في روح الأولياء و الصالحين:

إن ظاهرة الممارسات والمعتقدات الشعبية حول أضرحة الأولياء، ظاهرة متأصلة وراسخة لدى المجتمع الجزائري بصفة خاصة، ومجتمعات شمال إفريقيا وبلاد الشام والرفين بصفة عامة؛ ولهذه الظاهرة جذور تاريخية واجتماعية وثقافية بعيدة، ولا تزال تفرض نفسها ليومنا هذا. هنا نحاول تقديم وصف إثنوغرافي لظاهرة متجذرة في الثقافة الشعبية لهذه المجتمعات، ومحاولة فهم أسباب استمرار الاعتقاد في الأولياء وزيارة أضرحتهم وقبوره.

طقوس زيارة الأضرحة:

158 سورة الجن، الآية 6.
159 سورة الجن، الآية 12.
160 سورة الأنعام، الآية 130.
161 صحيح مسلم بشرح النووي، 170/4.
162 صحيح مسلم بشرح النووي 123/18.
163 رواه الطبراني (214/22) (573)، و ابن حبان (26/14) (6156)، و الحاكم (2/495).

الطواف حول القبة : الطواف خمس أو سبع مرات مع الدعاء خلال الدوران " إن الأعداد كالأشخاص والألوان والأصوات تكسب شخصيتها من ظروف ناشئة عنها ونتائج ناتجة من حولها فنجد الأعداد ثالثة وسبعة وعشرة واثني عشر وعشرين واربعين وسبعين ومائة وألفا شأنا في 2التعامل والتفكير البشري أكثر من الأعداد الأخرى.164

الحزام: تترك الزائرة التي لم ترزق بالذرية حزامها داخل القبة طمعا في نيل بركة الولي وحصول الحمل، وهذا شائع في حضرة سيدي منصور ويمكن ممارستها في حضرة أولياء آخرين تقول إحدى المبحوثات: "سيدي منصور مختص في عالج المرأة التي تجهض، يكفي أن تطوف سبع دورات على القبر وتترك حزامها هناك وتأخذ حزاما آخر من عند القائمة على الضريح . يمثل الحزام (الفال) ، والفأل هو مجموعة الوقائع والأحداث التي تقع من باب المصادفة قبل أو بعد إقدام شخص على مبادرة ما وقد يكون حسنا أو سيئا وكثيرا ما يربط الزوار ما يعترضهم في حياتهم اليومية بأن هذا مؤشر من عند الولي على الاستمرار في عمل ما أو الانقطاع عنه وتعتبر المقتنيات المأخوذة من الضريح أو من محيطه أو من عند الخادم أو أحد الزوار بمثابة فأل حسن.[165]

التضحية: تتنوع عطاءات الزوار من هدية أو طعام أو نقود، هاته الأخيرة يقدمها الزوار لخادم الضريح أو الخادمة لنيل البركة وقد تكون في شكل قطعة قماش لتجديد لباس الضريح أو ذبح حيوان.

المعروف: غالبا ما تشير كلمة معروف لإطعام أو للوليمة التي يقدمها الفرد للمحتاجين وعابري السبيل عندما ينال مراده في شأن ما أو عندما ينجو من مصيبة ما كحادث سيارة مثال وتتجاوز وليمة المعروف كونها مجرد مظاهر احتفالية إلى أهداف أخرى تتمثل في إعادة لم شمل العائلة أو العرش وترسيخ الانتماء إليه وهو عدة انواع ويقام لعدة أسباب ومناسبات مثال معروف الساس عند وضع أساس البيت. ومعروف الحج وهو وليمة يقيمها الشخص الذي ينوي الذهاب ليعتمر أو يحج من أجل توديع أقاربه وأصدقائه ومعروف الحصاد وهو وليمة تقام عند جني المحصول الفلاحي أو حصاد القمح ... الخ.[166]

طقس الحناء : الحناء هي مادة تلوينية قديمة عرفت تاريخيا عند الفراعنة بهذا الاسم، وقد شاع استعمالها في العصر الجاهلي عند العرب، العصر الإسلامي أيضا، وساعد على انتشارها نشاط التجار العرب الذين كانوا يستوردونها من بالد الهند على شكل صبغة نباتية، ذات لون أحمر وأسود .بالنسبة للأضرحة فإنه من الشائع كتابة أسماء الزوار وبعض الأدعية والتمنيات بالحناء على جدران الضريح، وذلك من قبيل)إن شاء هللا تتزوج

---

164 عبد المالك مرتاض ،عناصر التراث الشعبي في اللاز: دراسة في المعتقدات والعادات الشعبية، د م ج، الجزائر،1987 ص 24

165 مناد سميرة ، طقوس زيارة االضرحة في مستغانم، مقاربة أنثروبولوجية، مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة مستغانم، المجلد 4, العدد 6, الصفحة 129-139.

166 نفس المرجع.

فاطمة من علي(و)إن شاء هللا ينجح مراد(و)يا رب فرج على خديجة...الخ) إضافة الى وظيفة الحناء التزيينية والعلاجية فإن لها " وظيفة اجتماعية اذ تعد الحناء دلالة رمزية اجتماعية تميز العروس من قريناتها الأخريات، ويضفي عليها بهاء ورونقا وجمالا، وبذلك تكون الحناء مظهرا من مظاهر مباهاة المرأة الريفية في ليلة زفافها. من المعلوم أن الحنة هي الليلة التي يتم فيها الاحتفال بتحضير العروس لليلة الزفاف والدخلة، بدءا من الاستحمام وانتهاء بوضع الحنة على يديها ورجليها في طقوس خاصة تقوم بها نساء متخصصات .و لليلة الحنة عدة مدلولات، اذ تعد ليلة مهمة وفاصلة في حياة كل عروسين، ألنها تحمل في مضمونها كثيرا من المدلولات الاجتماعية والنفسية على حد سواء، إذ يفترض على كل مجتمع إنساني، قبل الزواج، القيام ببعض التدابير التي تحمل سمة احتفالية جمعية، بهدف اإلسهام بتهيئة العروسين لليلة مفصلية ومهمة في حياتهما، ألا وهي(ليلة الزفاف) وما يسبقها من مراسم كانت تمتد في الماضي القريب لأيام متتالية، إذ لكل ليلة منها معانيها ومدلولاتها الرمزية الخاصة بها، إذ لم يكن في الماضي يقتصر معنى هذه الليلة (ليلة الحنة) على احتفالات جمعية بوضع الأصباغ على بعض الأنحاء من جسد المرأة كالكفين والقدمين والشعر فحسب، وإنما في الحقيقة كانت تتجاوز مدلولات هذه الليلة الاحتفالية.[167]

IV. العبادات: الوضعي و السماوي:

1. العبادات في الديانات القديمة:[168]

أ- العبادات في الدّيانات المندثرة:

1) العبادات في الدّيانة المصريّة القديمة:[169]

بينت لنا كتب تاريخ الحضارات أن أهم ما يميز فترة عصر (الباليوليت الأوسط)، هو انحسار سيطرة إنسان النياندرتال بصورة ملاحظة، وظهور أول دين بشري قائم على الأساطير وطقوس عبادات معينة، حيث أن الأساطير هي محاولة من الإنسان لتفسير الظواهر الطبيعية التي يعجز عن تفسيرها، والتي هي من أهم الدوافع لإنشاء الأديان.

في هذا العصر، بدأ الإنسان بعد نمو نوازعه الروحية في تقديس الحيوان؛ بسبب شراسته، وقوته، وتنوعه، ومنافسته له في الحصول على الغذاء، ثم اقترب منه واصطاده أما بدافع الغذاء أو بدافع الخوف منه، واتقاء شره، وتميز الحيوان عن النار بأن الإنسان استطاع ترويض الحيوان، وتدجينه بل، واقترب منه لدرجة مرافقته في كل تجواله، ورحلاته.

---

[167] نفس المرجع.

168 عبد الرزاق رحيم، صلال الموحي: العبادات في الديانات القديمة (المصرية-العراقية القديمة-اليونانية القديمة-الرومانية القديمة-الهندوسية-البوذية الصينية-الفارسية القديمة (الزرادشتية)-الصابئية)، دار صفحات للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، دمشق-سورية، سنة 2012، ص ص 17-57.

169 عبد الرزاق رحيم، صلال الموحي: العبادات في الديانات القديمة، ص 18.